# مرحلة جديدة بعد ريشون لتسيون

طرحت ردود الفعل الاسرائيلية على المذبحة التي ارتكبها أحد الاسرائيليين ضد عمال عرب، في ريشون لتسيون، اسئلة هامّة حول تجذّر العداء بين اسرائيل والفلسطينيين، ودور الانتفاضة كعامل استنهاض متواصل للعمل الوطني الفلسطيني، والعربي، خصوصاً دورها على صعيد ابراز الهوية الفلسطينية، وتناميها، لدى الفلسطينيين في الأراضي المحتلة منذ العام ١٩٤٨.

## مرحلة جديدة

لقد كانت ردود فعل الفلسطينيين في الأراضي المحتلة، كافة، واسعة وشاملة، وتضمّنت أنواعاً مختلفة من صور المقاومة والاحتجاج، أخذت، في معظمها، طابعاً جماهيرياً، احتجاجاً على مذبحة ريشون لتسيون. وكان على كل مَنْ اعتقد من الاسرائيليين، بأن مسار الانتفاضة في هبوط وارتداد، ان يراجع حساباته، «فالجماهير التي تعبت من الانتفاضة، حسب هذه النظرية، أثبتت عكس ذلك تماماً. فقد خالفت قرارات حظر التجول. وذكّرت الأحداث، في قطاع غزة بشكل خاص، أحد الضباط [الاسرائيليين] بالأيام الأولى للانتفاضة» (**هآرتس**، ٢٢/٥/١٩٩٠).

لقد حطّم الفلسطينيون حاجز الخوف من الجيش الاسرائيلي، وباتوا على استعداد لتكرار الصدام مع قواته في كل مناسبة يتاح لهم فيها فعل ذلك. وهذا هو الدرس الأساس، الذي «ينبغي على القيادة العسكرية [الاسرائيلية] ان تتعلمه. وليس هذا فحسب؛ فالحكومة، أية حكومة، حتى تلك التي يحاول [اسحق] شامير تشكيلها ـ يجب ان تفهم ان اسرائيل، بكاملها، غير قادرة على ابقاء سيطرتها على [الضفة الفلسطينية] وقطاع غزة، الاّ بواسطة استخدام القوة، التي سوف تسبب نتائجها خسارة بقية التعاطف والتأييد من جانب الولايات المتحدة الأميركية، ناهيك عن دول أوروبا، اضافة الى مصر» (**المصدر نفسه**).

وفي حقيقة الأمر، ان وهم تراجع الانتفاضة الذي قاله بعض الاسرائيليين لا يستند الى حقائق ملموسة. وهذا ما وجده الصحفي الاسرائيلي جدعون سامط، الذي أجرى مقارنة بين معطيات الشهور الأربعة الأولى من العام ١٩٨٩، وبين الفترة عينها من العام الحالي، فتبيّن له ان الوضع ازداد خطورة في كل نشاطات الانتفاضة. فقد تضاعفت مرتين، تقريباً، حوادث مناهضة الاحتلال. وحسب الأرقام المطلقة، فان مجموع الحوادث بلغ ٢٣٨٥٩ حادثاً مقابل ١٢٤٠٥ حوادث؛ وهذا يعني حصول ١٩٩ حادثة في كل يوم خلال الفترة موضع البحث من العام الحالي، مقابل ١٢٠ في السنة الماضية. ورأى الصحفي سامط انه من خلال الصورة التي تعطى عن أوهام «احلال الهدوء، فان الأرقام الصعبة، هذه، لا تزال لا تعبّر عن جذر المسألة وعن التغيير في نمط الحياة في المناطق المحتلة، ذلك ان السكان اعتادوا، مثلنا، على نمط الحياة مع الانتفاضة» (**المصدر نفسه**، ١٨/٥/١٩٩٠). وانتقد الصحفي المحاولات الاسرائيلية لطمس الحقائق، وغسل العقول بغير الحقيقة؛ وتوقع ان «يساهم حادث كبير، يسقط فيه ضحايا كثيرة، في التذكير بوجود الحقيقة الراسخة، والفعلية، للانتفاضة. والحقيقة ان التهديدات التي سببتها الانتفاضة لم تكن كافية، حتى بعد عامين ونصف العام، لأن تحدث لدينا ضغطاً سياسياً فعلياً، من أجل تشكيل حكومة تدفع بالتسوية الى أمام» (**المصدر نفسه**).

الى هذا، فقد جاءت مذبحة ريشون لتسيون بمثابة درس جديد لأولئك الاسرائيليين الذين اشاعوا الأوهام حول الاعياء الذي أصاب الجماهير الفلسطينية، جراء مواصلة تنفيذ برنامج الانتفاضة، على صعيد العمل الجماعي الواسع.